مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches
And Scientific Activities

العدد السابع
March 2023 مارس

دلالة الألفاظ في مراحل خلق الإنسان

رمضان سعد مسعود
كلية الآداب والتربية / جامعة صبراتة

ملخص البحث:-

الإنسان مخلوق كرّمه الله على سائر المخلوقات، وميّزه بالعقل قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ الإسراء الآية(70) وله في خلقه شؤون وخصوصيات حيث خلق آدام من طين، ثمّ خلق زوجه حواء من ضلعه، ثمّ خلق عيسى ابن مريم من أمّ ولا أب، ثمّ خلق عامة البشر في مراحل جاءت مرتبة ترتيباً منطقياً حيث البداية بالنطفة، فالعلقة، فالمضغة، فكسو العظام لحماً، فنفخ الروّح، وفي ذلك ما يدل على عظمة الخالق وقدرته وإعجازه. لقد بيّن القرآن الكريم حقائق علمية في خلق الإنسان لا يعرفها العلماء البعيدون عن الإسلام إلاّ منذ عشرات السنين، كما أنَّ هناك معارف قرآنية لم يتم كشف مضمونها من الناحية العلمية حتّى زمن قريب، فاكتشاف النطاف والبيوض ترافق مع اكتشاف المجهر في العصر الحديث، واكتشافَ أنَّ النطفة هي التّي تقرر جنس المخلوق كان بعد عام (1910) وقد أوضح القرآن الكريم ذلك منذ (1411) سنة.

لقد اخترت لهذا البحث من العناوين: **(دلالة الألفاظ في مراحل خلق الإنسان)** حيث اشتمل البحث على تمهيد، ومبحثين وخاتمة، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي في دراسة هذا الموضوع.

Research Summary:

Man is a creature that God honored over all other creatures, and distinguished him with reason. The Almighty said: And indeed We have honored the sons of Adam Al-Isra verse (70) and he has affairs and peculiarities in his creation, as he created Adam from clay, then created his wife Eve from his rib, then created Jesus, the son of Mary, from a mother and not Father, then He created the general human beings in stages that came in a logical order, where the beginning is with the sperm, then the clot, then the embryo, then He covered the bones with flesh, then He breathed the soul, and in that is evidence of the Creator's greatness, power, and miracle. The Noble Qur'an has clarified scientific facts about human creation that scholars far from Islam have only known for decades, and there are Qur'anic knowledges whose content was not scientifically revealed until recently. The discovery of sperm and eggs coincided with the discovery of the microscope in the modern era, and the discovery that sperm She is the one who decides the sex of the creature after the year (1910), and the Holy Qur'an has made it clear since (1411). I have chosen for this research from the titles: (The significance of words in the stages of human creation), where the research included an introduction, two chapters and a conclusion, and I relied on the descriptive approach in studying this subject.

Copyright for the journal ©

حقوق الطبع محفوظة للمجلة

التـمهيد:-

للإنسان في الإسلام قيمة كبيرة، ومكانة رفيعة نوّه بها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وأشاد بها علماء الإسلام في كل اختصاص. فالإنسان هو المخلوق الذي كرّمه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(1)

وجعله في الأرض خليفة له حيث قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(2) وسخّر له الكون من فوقه ومن تحته ومن حوله ليكون في خدمته قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾(3).

لقد تحدث القرآن الكريم عن الإنسان وخصائصه وخلْقه ورسالته وأحواله في العديد من آياته، حيث كان أوّل ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد. صلى الله عليه وسلم ، خمس آيات لم تغفل شأن الإنسان، وعلاقته بربّه، علاقة التكريم، والهداية، والتعليم، وذلك من خلال قوله تعالى:﴿ ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن عَلَقٍ (2) ٱقرَأ وَرَبُّكَ ٱلأَكرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَم يَعلَم (5) ﴾(4). فالقرآن الكريم كله إمّا حديث الإنسان، أو حديث عن الإنسان. وهو يُعّد شيئاً ضئيلاً بالنسبة للغة الكون من حيث حجمه وحياته وجسمه، ولكنّه من حيث روحه وكيانه المعنوي شيء كبير كما أنّه من حيث عمره القصير على الأرض ذرة في صحراء الأزمنة الجيولوجية البعيدة الضاربة في أغوار القدم، ولكن المؤمنون يوقنون أنَّ الموت ليس نهاية الإنسان، بل أنَّه محطة انتقال إلى الأبد الذي لا نهاية له إلى دار الخلود إلى حيث يقال للمؤمنين:﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(5)(6). قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾(7).

ربّما أشكل فهم هذه الآية إلى جانب آيات أخرى اقتصرت على ذكر أجزاء من مراحل خلق الإنسان الذي مرّ بمراحل عدة،. وتقلب في ظلمات ثلاث في بطن أمه، ثمّ خرج ضعيفاً، ثمّ كبر حتّى صار كهلاً وشيباً، وجميع هذه الآيات ضروري لِتكْتمُلَ الصورة في الذهن ويزول كل إشكال يعلق في ذهن القارئ لأوّل وهلة هذه الآية وآيات أخرى تتكلم على بدء خلق الإنسان والأدوار التي يمرّ فيها

حتّى نهايته وما خلقه إلا أنّه آية من آيات الله للعبرة والعظَة قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(8)حيث نزل القرآن الكريم للعظة والعبرة(9).

إنّ التدبر في مخلوقات الله ومحاولة معرفة ولو بعضاً من حقيقتها يقود الإنسان إلى معرفة حقيقة هذا الكون وخالقه ومدبّره، فمراحل خلق الإنسان وهو أرقى مخلوقات الله مدعاة إلى التفكّر والتأمل في حقيقة الموجود وحق المعبود، وقد اخترت لهذا البحث من العناوين (**دلالة الألفاظ في مراحل خلق الإنسان)** معتمداً في ذلك على المنهج الوصفي في دراسة هذا الموضوع.

أهداف البحث:-

1- بيان حقيقة خلق الإنسان وماله من خصوصية تميّزه عن باقي المخلوقات.

2- محاولة معرفة ما لألفاظ مراحل خلق الإنسان من دلالات من خلال الترتيب المنطقي لها.

مشكلة البحث:-

هل في اختلاف كيفية خلق الإنسان ما يدل على قدرة الخالق وعظمته واعجازه.؟

دراسات سابقة:-

(مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم دراسة دلالية)، نبراس حسن مهاوش، (أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم)، محمد سلامة الغنيمي، (إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان)، محمد فيّاض (الإعجاز الإلهي في النشأة الجنينية والخلق .... عظة وعبرة لكل إنسان)، علي الصلابي.

سبب اختيار الموضوع:-

زيادة التدبّر والتفكّر والتأمّل في قدرة الله من خلال ما يمرُّ به الإنسان من مراحل في خلقه وتكوينه، وفهم ما ترمي إليه ألفاظ مراحل خلقه من دلالات.

وقد اقتضت طبيعة البحث أنْ يكون في تمهيد ومبحثين وخاتمة حيث كان المبحث الأوّل بعنوان: خلق أدم وحواء وعيسى – **عليه السلام** – أمّا المبحث الثاني: فقد كان بعنوان: مراحل خلق الإنسان بعامة، وقد استعنت ببعض المصادر والمراجع نذكر منها:

الصحاح للجوهري، والمصباح المنير للفيومي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، وقد ذيلت البحث بما توصلت إلية من نتائج.

المبحث الأوّل: خلق آدم وحواء وعيسى ابن مريم :-

أولا: خلق آدم:-

لقد أفردتُ لخلق آدم وحواء وعيسى ابن مريم مبحثاً مستقلاً لما لهم من خصوصية تختلف عن خلق باقي البشر، حيث خُلق آدم من تراب من دون أب ولا أم، وخُلقت حواء من ضلع آدم، وخُلق عيسى من دون أب. لقد أوضح القرآن الكريم في آيات عديدة بدء خلق الإنسان وتعاقب سلالته عبر الأجيال، ودوره في الحياة ومصيره. حيث تبيّن تلك الآيات أنَّ الإنسان الأوّل هو سيدنا آدم –عليه السلام–؛ يتمتع بالعلم والمعرفة والإيمان، وفي ذلك ما يفنّد فرضيات الإنسان في العصر الحجري وتطوره عبر الأحقاب الجيولوجية، ولم يكن الإنسان الأوّل والسلالات الأوّلى تمشي على أربع، ولم يكن عاري الجسم كما يزعم الفلاسفة القدامى، وقد كان للإنسان الأوّل لغة يتفاهم بها مع أبناء جنسه، ويميّز الخير من الشر، وكل ما يعلمه من المعارف الإنسانية أوحيت إليه عن طريق الأنبياء والرسل والصالحين.(10)

وبيّن القرآن الكريم والكتب السماوية قبله أنَّ أصل سلالة بني البشر هو آدام عليه السلام وقد خُلق من تراب. وليست مادة التراب هي المادة التي صنع منها، وإنّما هي آية من آيات الله. فالله يخلق كل شيء يقول(كن)، بدون وجود مواد أولية، إذ يكون الخلق من عدم فالله هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، حيث يقول في محكم كتابه﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(11) وفال تعالى: أيضا ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾(12) وقال تعالى: لسيدنا زكريا مشيراً إلى خلق آدم – **عليه السلام** – ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾(13) وخلق آدم لا ينفي وجود المخلوقات على كواكب الأخرى ولكنّه مؤكد أنَّ آدم–**عليه السلام** – هو أوّل المخلوقات الإنسانية التي نشأت منها سلالة بني البشر على وجه الأرض. وشاءت القدرة الإلهية أنْ يكون موضع حياة آدم وذريته على كوكب الأرض فكان بناء أجسام البشر من عناصر مماثلة لبناء كوكب الأرض، وهذه العناصر هي التراب وما يحويه من ذرات تخص الأرض التي نحيا عليها، وكذلك فإنّ كافة أحياء الأرض من عناصر بناء الأرض ذاتها. والدليل على أنَّ بدء خلق الإنسان من طين، وأنَّ مادة الطين هي للدلالة على أنّ موطنه الأرض قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾(14)

وقوله تعالى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(15)

وخلقُ سلالة الإنسان من طين يعني أنَّه من بناء مماثل لبناء الأرض ومصيره إلى الأرض، وليس خلق الإنسان من طين صفة مميّزة له متفوقة؛ لأنّ خلق الملائكة من النور، وخلق الجّان من مارج من النار؛ صفة متفوقة أكثر. ولكن الطين صفة ملازمة لمستقر الإنسان عن الأرض، وبهذا يؤكد الله – سبحانه وتعالى– أنّ سجود الملائكة لآدم – **عليه السلام** – ليس سجود تفضيل، وإنّما هو سجود تعظيم لمن خلقه وهو الله –سبحانه وتعالى–.(16)

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (17) لقد كان آدم –**عليه السلام** – بداية وجود الإنسان، وكان عالماً بكل شيء من لدن عليم خبير ربّ السماوات والأرض وما بينهما. والغاية من خلق آدم وذريته وسائر المخلوقات عبادة الله وحده. ولا تعني كلمة (خليفة) أي: من بعد، ولكن وجود تمثيل وعبودية لربّ العالمين على كوكب الأرض لوقت محدود، ثم يرث الله الأرض ومن عليها. (18)

أمّا عن كيفية خلق آدم – **عليه السلام** – فقد ورد من الأحاديث ما يوضح هذه الكيفية، فعن رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – أنّه قال: (خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك) (19)

ويُروى عن بعض أصحاب رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – أنّ الله بعث جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أنْ تنقص مني أو تُشيني فرجع ولم يأخذ قال: ربِّ إنّها عاذت بك فأعذها. فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال: كما قال: جبريل. فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بلله أنْ أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد؛ وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبلَّ التراب حتَّى عاد طينا لازباً يلزق بعضه ببعض ثم قال: للملائكة إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾(20) فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، فخلقه بشراً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرَّت به الملائكة ففزعوا لمَّا رأوه، وكان أشد منهم فزعاً إبليس، فكان يمرُّ به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخّار ويكون له

صلصلة قال تعالى:﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾(21)فلما بلغ الحين الذي يريد الله عزَّ وجلَّ أنْ ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فأسجدوا له، فلمَّا نفخ فيه الروح فدخل الروح رأسه عطس فقالت الملائكة: قل الحمد لله فقال: الحمد لله فقال الله: رحمك ربك، فلمَّا دخلت الروح عينه نظر إلى ثمار الجنة، فلمَّا دخلت الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أنْ تبلغ الروح إلى رجليه عجلاً إلى ثمار الجنة، قال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾(22)(23)

ثانياً: خلق حواء :-

ورد في التورات أنَّ حواء خُلقت من ضِلع آدم خلال نومه حيث يدلُّ ذلك على أنّها من تركيب مماثل لتركيب آدم – **عليه السلام** – وقد بيّن القرآن الكريم أنَّ الغاية من خلق حواء هي الاستقرار النفسي للجنسين معاً الذكر والأنثى، وأنَّ هذا التألف الروحي بينهما هو بإرادة الله عزّ وجلّ فكل منهما متمم للأخر يسكن إليه وعن طريق اجتماع الزوجين يحدث الإخصاب والتناسل.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(24)(25)

وورد في الأثر عن بعض الصحابة أنّهم قالوا: أُخرج إبليس من الجنة وأُدخل آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشياً ليس له فيها زوج يسكن إليه، فنام نومةً فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت: قالت امرأة ولمَ خُلقت؟ قالت لتسكن إليّ فقالت له الملائكة ما اسمها يا آدم؟ قال حواء، ولِمَ كانت حواء؟ قال لأنّها خُلقت من شيء حيّ(26)

ويؤكد ذلك ما ورد عن رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – أنّه قال: " استوصوا بالنساء خيراً، فإنّهنّ خُلقن من ضلع، وأنَّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإنْ ذهبت تقيمه كسرته، وإنْ تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً"(27)

ثالثا: خلق عيسى:-

عيسى ابن مريم عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنّه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم، وقال له كن فكان، وبيّن أصل ميلاد أمه وكيف كان من أمرها؟ وكيف حملت بعيسى؟

لقد ذكر الله تعالى أنّه اصطفى آدم – **عليه السلام** – والخُلّص من ذريته المتبعين شرعة الملازمين طاعته، ثم خصص فقال ﴿ آل إبراهيم﴾ فدخل فيهم بنو إسماعيل ثمّ ذكر فضل هذا البيت الطيب وهم آل عمران، والمراد بعمران والد مريم – **عليه السلام**– .

وذكر أنَّ أم مريم حنة بنت فاقود بن قبيل كانت لا تحبل فرأت يوماً طائراً يزقّ فرخاً له فاشتهت الولد فنذرت لله إنْ حملت لتجعلنَّ ولدها محرراً أي حبيساً في خدمة بيت المقدس. (28)

لقد بشّر الله مريم باصطفائه لها من سائر نساء العالمين، فإنّه اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب وبُشّرت بأنْ يكون نبياً شريفاً ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾(29)

أي في صغره يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهولته، وفي ذلك دليل على بلوغه الكهولة والدعوة إلى الله في هذه المرحلة من العمر.(30)

لقد كانت مريم وقفاً على سدانة المعبد وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك، ودخلت المسجد إلى جانب المحراب في شرقية لتخلو للعبادة، فدخل عليها جبريل– **عليه السلام**–قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾(31) يُقال إنّ الروح روح عيسى – **عليه السلام** –؛ لأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فركّب الروح في الجسد الذي خلقه في بطنها، والأرجح أنّه جبريل لتمثله في صورة البشر لقوله تعالى:﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾(32)؛ لأنّها لم تكن لتطيق أو تنظر جبريل في صورته الحقيقية، ولمّا رأت رجلاً حسن الصورة في صورة البشر قد خرق عليها الحجاب ظنت أنّه يريدها بسوء فقال الله على لسانها:﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾(33) فقال لها جبريل:﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾(34)

فلم تستبعد من قدرة الله شيئاً لكنّها أرادت كيف يكون هذا الولد؟ من قبل الزواج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداء؟ ويُروى عن ابن عباس أنّ جبريل أخذ ردن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى(35) وقيل إنّ بداية حملها ستة أشهر، وقيل سبعة أشهر و قيل ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، وقيل ثلاث ساعات، وقيل حملته في ساعة وصوّر في ساعة ومُضغته في ساعة حين زوال الشمس من يومها، وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل: بنت عشرة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أنْ تحمل، ثمّ وقع الحمل ﴿ فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها بعيداً عن أهلها وراء الجبل وقيل: أقصى الدار، وقيل سُميت لابن عمّ لها اسمه

يوسف، فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلمّا كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأنْ يقتلها فأتاه جبريل فقال: إنّه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فلمّا جاءها المخاض، وهو مخض الولد في بطنها طلبت الجدع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وقيل احتمل يوسف النجار مريم وأبنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوماً ثمّ جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فإنّي عبد الله ومسيحه، فلمّا دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا، وقيل هموا برجمها حتّى تكلّم عيسى – **عليه السلام** – فتركوها ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، فلمّا أشارت إليه غضبوا وقالوا لَسخريتها بنا أشد علينا من زناها وكان عيسى في ذلك الحين يرضع فلمّا سمع ذلك ترك الرضاع، وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وكلمهم، ثمّ لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً من الصبيان(36)

وهكذا خُلق عيسى ليرحم لله به العباد يدعوهم إليه في صغره وكبره وطفولته وكهولته: بأنْ يُفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن إيجاد الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد.

المبحث الثاني: خَلقُ الإنسان بعامة:-

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن أطوار خلق الإنسان مجملة ومفصلة منها:

قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾(37)

والأطوار يُراد بها: النطفة ثمّ العلقة ثمّ المضغة إلى أخر أطوار خلق الإنسان(38)

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾(39)

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(40)

وقوله تعالى:﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾(41) وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(42)

من خلال ما تقدم من الآيات نستطيع أنْ نحدد معالم أطوار الجنين المتمثلة في:

(النطفة – العلقة – المضغة – المخلقة وغير المخلقة – العظام – ونفخ الروح) وجميعها تُعد مراحل متتالية في خلق الإنسان.

لقد بيّن القرآن الكريم حقائق علمية لم يعرفها العلماء البعيدون عن الإسلام إلا منذ عشرات السنين، كما أنَّ هناك معارف قرآنية لم يتم كشف مضمونها من الناحية العلمية حتّى وقت قريب. فاكتشاف النطاف والبيوض ترافق مع اكتشاف المجهر منذ أقل من مئة عام، واكتشاف أنَّ النطفة هي التي تقرر جنس المخلوق كان بعد عام (1910)، أي أكثر من ثمانين سنة فقط بل أوضح ذلك القرآن منذ(1411) سنة. (43)

1- النطفة:-

النطفة الماء الصافي قلّ أو كثُر والجمع النطاف. والنطفة ماء الرجل والجمع نطف ونطفان الماء سيلانه(44)

وقد تبيّن أنَّ مني الرجل يحوي النطاف، وأنَّ مني المرأة يحوي البويضة وأنَّ السوائل المرافقة لمني الرجل ضرورية في الإلقاح الذي يتم بواسطة نطفة واحدة من أصل عشرات الملايين، وأنَّ نُضج البويضة وما يحيط بها من خلايا شفافة؛ ضروري لتنظيم اختراق نطفة واحدة لها لتكوين البويضة الملقّحة.(45)

ذكر الأصفهاني أنَّ النطفة الماء الصافي، ويُعبر بها عن ماء الرجل(46) والنطفة تطلق على ثلاثة أشياء هي:

أ- نطفة الرجل وهي الحيوانات المنوية.

ب- نطفة المرأة وهي البويضة.

ج- النطفة الأمشاج وهي نطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أي: البويضة المخلّقة.

والنطفة الأمشاج هي بداية خلق مرحلة الإنسان حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(47)

فإذا ما لُقحت البويضة وصارت ملقّحة ابتدأت انقسامات متعددة حيث تعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام الانشقاق وتستغرق هذه المرحلة أسبوعاً كاملاً حتّي تعلق هذه النطفة الأمشاج التي تحولت إلى كرة جرثومية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بواسطتها وبواسطة حملات دقيقة بجدار الرحم (48)

2- العلقة:-

"والعلقة المني ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمداً، ثمّ ينتقل طوراً آخر فيصير لحماً وهو المضغة سميت بذلك؛ لأنّها بقدر ما يمضغ(49)

فالعلقة طور من أطوار خلق الجنين، يأتي بعد تكوين النطفة عندما تنمو النطفة في الغشاء المبطن للرحم للفترة المحدودة لها وتكون في حاجة إلى غذاء أكثره لا يتوفر لها وهي على حالتها تلك؛ فتتجه إلى جدار الرحم وتتعلق به وتتصل بالأوعية الدموية، وتأخذ من دم الأم من الغذاء ما يكفيها ويكفي نموها، وهذا هو تتطور النطفة إلى طورها الجديد وهو العلقة، وسميت بذلك لتعلقها بجدار الرحم، وقد وردت في القرآن الكريم كلمة علقة مسبوقة بكلمة نطفة قبلها، فال تعالى:﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾(50)(51)

ذكر الإمام الأزهري أنَّ العلقة قطعة لحم طرية ثمّ تجمدت، وصارت مبتدأً لخلق آخر وهو مضغة أي: انتهت العلقة إلى مضغة (52)

فالعلقة أو المضغة المخلّقة يبدأ هذا الطور من الجنين من اليوم السادس للإلقاح، وحتّى نهاية الأسبوع السادس. حيث يبدأ في هذا الطور تكوين الأجهزة والأعضاء وأنَّ أوّل الأجهزة بدءاً في التشكّل هو جهاز الدوران ويليه الجهاز العصبي والحواس، ثمّ يليه بقية الأجهزة ومع هذا فإنّ الجنيين لا يمكن يُميّز بشكله الإنسان حتّى بداية الأسبوع السابع(53)

3- المُضغة:-

ذكر الأصفهاني أنَّ المضغة القطعة من اللحم قدر ما يمضغ ولم ينضُج، وجُعلت اسماً للحالة التي ينتهي إليها الجنيين بعد العلقة(54)

حيث تنمو العلقة شيئاً فشيئاً حتّى تصبح كتلة من الأغشية المتصلّبة، تشبه في الشكل قطعة غشاء ممضوغ، من أجل ذلك سميت مضغة، فهي علقة كبرت وتطورت، وفي هذه الفترة يتكون

للجنيين أربعة أزواج من الفتحات خلف منطقة الأذن، وفي الأسبوع السابع عندما تتبين الأطراف نجد له ذيلاً مكوناً من خمس أوست فقرات يجاوز طول الساقين (55)

ذكر الزمخشري أنَّ المضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة المسوَّاة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه ملّسه من قولهم: صخرة خلْقاء إذا كانت ملساء والله يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم تمامهم ونقصانهم (56)

فالمضغة إمّا تكون مُخلّقة أو غير مُخلّقة، فأمّا المُخلّقة ما كان خلقاً سوياً، أمّا غير المخلّقة فما دفعته الأرحام من النطف وألقته قبل أنْ يكون خلقاً.

ورد في الأثر أنَّ المضغة إذا وقعت في الرحم، بعث الله ملكا فقال: يا ربّ مُخلّقة أو غير مُخلقة؟ فإنْ قال غير مُخلقة مجتها الأرحام دماً، وإنْ قال مُخلّقة قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة، أذكر أم أنثى، ما رزقها ما أجلها أشقي أم سعيد؟ فيقال له انطلق إلى أم الكتاب. فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتّى يأتي على آخر صفتها(57)

4- كسو العظام لحماً:-

قال تعالى:﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾(58)

عندما تكوُّن العظام في الطفل يصير كله أشبه بالسمكة، في تلك الفترة التي يتحول فيها من المضغة إلى خلق آخر، يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾(59)

ويكون له ذيل مكوّن من خمس أو ست فقرات، ثمّ يبدأ هذا الذيل في القصر والضمور شيئاً فشيئاً، وهو في هذه المرحلة يكسى باللحم، أي أنبت الله سبحانه على كل عظم لحماً على القدر الذي يليق به ويناسبه، ومعنى(فكسونا العظام لحماً أي جعلنا على ذلك ما يقوّيه(60) وهذه المرحلة تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع من الحمل حيث تتحول الكتل البدنية إلى جزأين:

1- جزء أمامي ويسمى القطعة الهيكلية وهي تكون عظام الفقرات كما أنَّ انسياب خلاياها في المنطقة العنقية يشكّل عظام الأطراف العليا، وانسياب خلاياها في المنطقة القطنية والعجزية يشكّل عظام الأطراف السفلى، كما تشكّل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس الجزء المؤخري القاعدي الجمجمة فتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية، وبذلك

يتشكّل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتلة البدنية، أمّا عظام الوجه والفكين والأذن الوسطى فإنّها جميعاً تُشكّل من القوس البلعومي الأوّل.

2- جزء خلفي وظهري ويُسمّى المقطع العضلي الآدمي الذي سرعان ما ينقسم بدوره إلى قسمين:

أ- آدمي وهو يشكّل آدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة.

ب- عضلي وهو يشكّل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك التي موجودة في الجدع.(61)

5- نفخ الروح:-

قال تعالى:-﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(62)

في هذه المرحلة يتشكّل نوع كل جنين، ويتكوّن في أكمل صورة وفي أحسن تقويم بعد أنْ يكون جسم الجنين قد اكتسى بالشعر الذي يبدأ في الزوال قبل الولادة، ثمّ ينمو كل جنين بالصفات والشكّل الذي تميّز به عن المخلوقات الأخرى، فبعد تكوُّن العظام و العضلات وكسوها باللحم، يُنشئ الخالق – سبحانه وتعالى- كل جنين خلقاً آخر(63)

قال تعالى:﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾(64)

فالتسوية وتعديل ذات الشيء تعني اعتدال العناصر في خلق الإنسان واكتمالها بحيث صارت قابلة لنفخ الروح، والنفخ حقيقة إخراج الهواء مضغوطًا بين الشفتين مضمومتين كالصفير واستعير النفخ في هذا الموضع لوضع قوة لطيفة السريان قوية التأثير دفعة واحدة، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ(65) ونفخ الروح في الحي يراد به تكوُّن القوة البخارية أو الكهربائية المنبعثة من القلب عند انتهاء واستواء المزاج تكوّناً سريعاً دفعياً، وجريان أثر تلك القوة في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن في تجاويف جميع أعضائه الرئيسة. (66)

نتائج البحث:-

1- إنّ التأمل والتفكر والتدبر في مخلوقات الله ومعرفة ولو بعض من حقيقتها يقود الإنسان إلى معرفة حقيقة هذا الكون وخالقه ومدبّره.

2- من مظاهر قدرة الله خلق الإنسان من عدم وهو ما يوضحه قوله تعالى:

﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

3- في خلق آدم من طين وخلق حواء من ضلع آدم وخلق عيسى من غير أب دليل على عظمة الخالق، وخصوصية المخلوق.

4- مراحل خلق الإنسان من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مُخلقة، قد أخذت التسلسل المنطقي في ترتيبها من حيث الوجود فلا خلل ولا اختلال.

هـــوامـش البـحـث:-

1-سورة الإسراء من الآية: (70)

2-سورة البقرة من الآية: (30)

3-سورة الجاثية من الآية: (13)

4-سورة العلق الآيتان: (1- 2)

5-سورة الزمر من الآية: (73)

6- ينظر قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام، محاضرات يوسف القرضاوي دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1994، ص: 8-9.

7- سورة الحج من الآية: (5)

8- سورة الذاريات من الآية: (21)

9- ينظر تفسير مشكل القرآن، راشد عبدالله الفرجان، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 1991، 26/113-114.

10- ينظر الطب الإسلامي العقلي النفسي الجسمي، محيى الدين طالو العلبي، دار ابن كثير دمشق بيروت، ط1، 1992، ص:57.

11- سورة يسن من الآية: (82)

12- سورة مريم من الآية: (67)

13- سورة مريم من الآية: (9)

14- سورة السجدة الآيتان: (8:7)

15- سورة طه من الآية: (55)

16- ينظر الطب الإسلامي العقلي النفسي الجسمي، ص:58-59.

17- سورة ص الآيتان: (72:71)

18- ينظر المصدر السابق ص:60.

19- ينظر قصص الأنبياء، لابن كثير، تح: محمد عيد درويش، مطبعة الفوال،ص:32.

20- سورة ص الآيتان: (72:71).

21- سورة الأحزاب من الآية: (14).

22- سورة الأنبياء من الآية: (37).

23- ينظر قصص الأنبياء ص: 33-34.

24- سورة النساء الآية: (1).

25- ينظر الطب الإسلامي العقلي النفسي الجسمي، ص: 60-61.

26- ينظر قصص الأنبياء،ص:14.

27- صحيح البخاري، دار التقوى للتراث، باب الوصاة بالنساء 32/36.

28- ينظر قصص الأنبياء، ص:517-518.

29- سورة آل عمران الآية: (46).

30- ينظر قصص الأنبياء، ص:522.

31- سورة مريم الآية: (17).

32- سورة مريم من الآية: (17).

33- سورة مريم الآية: (18).

34- سورة مريم الآية: (19).

35- ينظر الجامع الأحكام القرآن، 90/11-91.

36- ينظر الكشاف، للزمخشري، شرح وضبط يوسف الحمادي، مكتبة مصر 99/3-102-103.

37- سورة نوح الآيتان: (14:13)

38- ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، 116/17.

39- سورة الحج الآية: (5).

40- سورة المؤمنون الآيات: (14:13:12).

41- سورة السجدة الآيات: (9:8:7).

42- سورة الانفطار الآيات: (8:7:6).

43- ينظر الطب الإسلامي العقلي النفسي الجسمي، ص:46.

44- ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تح: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، مادة(ن ط ق)، 1434/4.

45- ينظر الطب الإسلامي العقلي النفسي الجسمي، ص:46.

46- ينظر معجم مفردات الفاظ القرآن، تح: يوسف الشيخ، دار الفكر للطباعة والنشر، ص:375.

47- سورة الإنسان الآية: (2).

48- ينظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص:367.

49- المصباح المنير، للفيومي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط3، مادة (ع ل ق) ص:220.

50- سورة المؤمنون الآية: (14).

51- ينظر مشكل القرآن، ص:120.

52- ينظر زهرة التفاسير، لأبي زهرة، دار الفكر العربي،4943/9، والجامع لأحكام للقرطبي، دار الشام للتراث، 6/12.

53- ينظر الطب الإسلامي العقلي النفسي الجسمي، ص: 73.

54- ينظر معجم مفردات الفاظ القرآن، ص:355.

55- ينظر تفسير مشكل القرآن، ص: 122-123.

56- ينظر الكشاف، 212/3-213.

57- ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 116/17-117.

58- سورة المؤمنون من الآية: (14).

59- سورة المؤمنون من الآية: (14).

60- ينظر تفسير مشكل القرآن، ص:123.

61- ينظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: 370-371.

62- سورة المؤمنون من الآية: (14).

63- ينظر مشكل القرآن، ص:124.

64- سورة السجدة من الآية: (9).

65- ينظر تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور مكتبة المدينة، 44/14.

66- ينظر المصدر السابق والجزء والصفحة نفسها.